إسهامات المتقدمين في علم مقارنة الأديان

م.د. جنان فيصل مخلف القيسي
كلية القلم الجامعة

CONTRIBUTIONS OF THE MODERNISTS TO COMPARATIVE RELIGION

Lect.Dr. Jinan Faisal Mikhlif Al-Qaisi
Al-Qalam University College

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى إله وصحبه وسلم، وبعد

إن الدراسات الإسلامية المعاصرة تسعى إلى توضيح الموقف الإسلامي من قضايا العقيدة والشريعة والأخلاق، ويبدو ذلك جليا من دور علماء المسلمين في التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر، لذا على طالب العلم أن يقتف اثارهم في البحث والدراسة في هذا المجال أو في غيره

إن ربط المسائل الفقهية والعقدية والأخلاقية بأمهات القضايا المعاصرة يضمن لنا "إحياء علوم الدين". ويساعدنا على الربط بين الأصالة والمعاصرة، والاعتدال في التدين. و هو ما يضمن لنا أهم خصائص الإسلام في التجديد، والشمولية، والمواكبة، والمرونة، والثبات، ومعرفة كل من التراث والواقع والربط بينهما، مع بيان دور المتقدمين وإسهاماتهم في العلوم كافة، لندرك الفجوة التي يمكن فيها التجديد، وبالتالي استكمال عالمية الإسلام وصلاحيته في كل زمان ومكان، واستنتاج أنه

دين كامل وثابت في إيمانه ومبادئه العامة، ولكن في نفس الوقت يقوم على المواكبة هذا هو مزيج من الوسطية والاعتدال.

يسعى هذا البحث إلى الوقوف على حقائق تاريخية تثبت مدى اهتمام المسلمين في علم مقارنة الأديان، ظهرت الحضارة الإسلامية نتيجة الابتكارات في مختلف مجالات الحياة، وما هي إلا إسهامات علماء المسلمين في مجال علم الأديان المقارن من خلال كتبهم.

إشكالية البحث:

مسألة الأسبقية التصنيف في دراسات الأديان شغلت المفكرين المعاصرين، كسلوك النهج الوصفي، يُفترض ان يكون بعيدا عن النقد والتحيز، ومن ثم، فإن هذا البحث يسعى إلى محاولة توضيح اسهامات علماء الإسلام وأسبقيتهم في هذا المجال العلمي: تأليفا ومنهجاً وموضوعية.

أهداف البحث:

جاء هذا البحث من أجل تحقيق الآتي:

١. إظهار أسبقية علماء الإسلام على غيرهم في تقديم علم مقارنة الأديان كفن مستقل.
٢. بيان منهج بعض علماء المسلمين ممن اهتموا في هذا العلم وكان لهم الدور الكبير فيه.
٣. الوقوف على إسهامات علماء المسلمين في علم مقارنة الأديان.

منهج البحث:

سلكت الباحثة في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي.

خطة البحث:

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، المبحث الأول: تناولت فيه مفهوم مقارنة الأديان ونشأته في الفكر الإسلامي، وأما المبحث الثاني: فتناولت فيه جهود المتقدمين ومنهجهم في مقارنة الأديان، وأما المبحث الثالث: تناولت فيه إسهامات بعض علماء المسلمين في مقارنة الأديان. وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

المبحث الاول

التعريف بعلم مقارنة الاديان، ونشأته

علم مقارنة الأديان: يتكون هذا مصطلح من شقين: الدين والمقارنة.

أولاً: تعريف الأديان لغة.

الأديان: جمع دين، والدين في اللغة: مشتق من الفعل الثلاثي: (دان)، وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به، فإذا تعدى بنفسه يكون (دانه) بمعنى ملكه، وساسه، وقهره وحاسبه، وجازاه.

وإذا تعدى باللام يكون (دان له) بمعنى خضع له، وأطاعه، وإذا تعدى بالباء يكون (دان به) بمعنى اتخذه ديناً ومذهباً واعتاده، وتخلق به، واعتقده. (ابن منظور، د.ت، ١٤٦٧/٢).

وهذه المعاني اللغوية للدين موجودة في (الدين) في المعنى الاصطلاحي كما سيتبين؛ لأن الدين يقهر أتباعه ويسوسهم وفق تعاليمه وشرائعه، كما يتضمن خضوع العابد للمعبود وذلته له، والعابد يفعل ذلك بدوافع نفسية، ويلتزم به بدون إكراه أو إجبار.

ثانياً: مفهوم الدين اصطلاحاً

أما تعريف الدين: فقد ساهم فيه كثير من العلماء والباحثين. وما نلاحظه الاختلاف في هذه التعريفات، وتعقيد الصعوبات التي واجهوها في صياغة تعريف شامل لمفهوم الدين. إلا أن المجمل في هذه المعاني اللغوية كما يرى محمد دراز: «أن هذه الكلمة تشير إلى علاقة بين طرفين، يُعظّم أحداهما الآخر. إذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا. وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا، وسلطانا، وحكما، وإلزاما. وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظّم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها» (دراز، ١٩٨٠م، ص٣١).

أما اصطلاحا، فقد اختلفت التعريفات بين المسلمين، والغربيين أما التعريف الكامل لماهية الدين بإجماع العلماء وهو ارجح التعريفات" الدين هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلًّا وحبًّا، رغبة ورهبة.

فهذا التعريف فيه شمول للمعبود، سواء كان معبوداً حقًّا– وهو الله عز وجل– أو معبوداً باطلا، وهو ما سوى الله عز وجل. "(السايح، د.ت، ص٢٠).

أما مصطلح "الدين" الذي ورد واستعمل في تاريخ الأديان فله معنيان فقط كما يراها محمد دراز أيضا: «فأما الأول: فهو يعني تلك الحالة النفسية التي نسميها "تدين." أما الثاني: فهو تلك الحقيقة الخارجية أو الآثار الخالدة التي يمكن الرجوع إليها في المبادئ التي تدين بها أّمة من الأمم اعتقادا وعملا »(السايح، د.ت، ص٢٠).

وعرفه بأنه (الشرع الإلهي المتلقَّى عن طريق الوحي) وهذا تعريف أكثر المسلمين.

ويلاحظ على هذا التعريف قَصرُهُ الدين على الدين السماوي فقط، مع أن الصحيح أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له يصح أن يسمى ديناً، سواء كان صحيحاً، أو باطلاً، بدليل قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ سورة آل عمران: ٨٥).

أما الدين في الاصطلاح العام: هوما يعتنقه الإنسان ويعتقده ويدين به من أمور الغيب والشهادة.

وفي الاصطلاح الإسلامي: التسليم لله تعالى والانقياد له.

والدين هو ملة الإسلام وعقيدة التوحيد التي هي دين جميع المرسلين من لدن آدم ونوح عليهم السلام إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: تعريف المقارنة لغة واصطلاحاً.

المقارنة لغةً:

من حيث الأصل اللغويّ لكلمة (المقارنة)، تشير قواميس اللغة العربيّة إلى عدة معانٍ: الاقتران، والمصاحبة، والوصل. يقال: وقارَنَ الشيءُ، الشيءَ، مُقارَنة وقِراناً: اقْتَرَن به وصاحَبَه. واقْتَرَن الشيءُ بغيره، وقارَنْتُه، قِراناً: صاحَبْته، وقَرَنْتُ الشيءَ بالشيءِ: وصلته. (ابن منظور، د.ت، ٣٦١١/٥).

المقارنة أصطلاحاً:

إن مصطلح المقارنة هو رديف (الموازنة) في المجال المعرفي، فعُرفت بتعاريف عدة من قبل الباحثين وسأذكر بعضاً منها على سبيل الإيجاز لا الحصر:

١. عرفها الملحم بإنها: «أداةٌ فكريةٌ، ومهارةٌ معرفية، يتمتع بها البشر بنسب متفاوتة، تتبع مستواهم الفكري والثقافي«. (الملحم، ٢٠١٦م، ص٣٨).

٢. وعرفت أيضاً بإنها: «رصد الظواهر، وتسجيل القضايا، والأفكار التي تتعلق بعنصر من العناصر الموجودة في دينين أو أكثر« (تركي، ٢٠٠٢م، ص٢٢).

٣. وتعرف المقارنة أيضاً بأنها: «عمليةٌ ذهنيةٌ، تقوم على ربط موضوع بآخر، برابطٍ واحد، لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينهما، وقد يشمل هذا الربط موضوعين أو أكثر« (صليبا، ١٩٨٢م، ٤٠٥/٢).

رابعاً: تعريف علم مقارنة الأديان:

إن المتتبع لمفهوم مقارنة الأديان لم يجد تعريفاً علمياً جامعاً له إلا في بداية القرن العشرين، حيث عرفه جوردن في مدونته (علم مقارنة الأديان: جذورها وتطورها) بأنه: «الدرس العلمي الذي يقارن بين أصول المعتقدات، وأشكال الطقوس والعبادات لأديان العالم؛ لمعرفة أوجه الشبه والتباين بينهما، وتحديد القواسم المشتركة، وعلاقة بعضها ببعض، ومعرفة مواطن القوة والضعف بينهما، من خلال المقابلة والموازنة كأجناس »(حاش، ٢٠١٢م، ص٧٧).

في هذا التعريف نجد أن جوردن ركز على عنصرين مهمين فقط وهما: علم مقارنة الأديان كمفهوم، ووظيفته، لكننا يتبين لنا في هذا التعريف، أن هناك غيابا للعنصر المعياري لهذا العلم الذي من خلاله يتم تمييز المعتقدات إلى حق يجب الأخذه به، وباطل يجب التخلي عنه وتركه.

وبسبب غياب العنصر المعياري، لم يستوف التعريف شروط قبوله من قبل المؤرخين المسلمين للأديان، فجاءت تعريفات عدة لعلم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي وكما ياتي:

١. عرف بأنه: «علم يدرس خصائص، ومميزات كل دين، ويوازن بينها وبين خصائص ومميزات الأديان الأخرى«. (السايح، د.ت، ص١٠).

٢. وعرف أيضاً بأنه: «علم يبحث في الملل، من حيث منشئها، وتطورها، وانتشارها، واتباعها، وفي العقائد والأصول التي تتركز عليها الملل المختلفة، وفي أوجه الاختلاف والاتفاق فيما بينهما، مع المقارنة والمناقشة والرد؛ إظهاراً للحقيقة بأدلةٍ يقينية« (جود، ١٤٢٥هـ، ص١٢).

نلاحظ في هذا التعريف أنه لا يقتصر على عمليات الوصف والتحليل فقط – كما رأينا في تعريف علم الأديان المقارنة بين العلماء الغربيين – بل يشمل أيضًا المناقشة، والرد، وهما عنصران معياريان يتم من خلالها ذلك يذهب العلم إلى أبعد من كونه أداة وصف وتحليل إلى أداة تصحيح وتمحيص.

١. وعرفت الدراسة الدينية المقارنة نظراً لموضوعها بأنها «تتضمن رصد، وتسجيل الظواهر، والقضايا الدينية في ديانتين أو أكثر، وتصنيفها، وتبويبها، وبيان العلاقة بينها وبين غيرها من العناصر« (تركي، ٢٠٠٢م، ص٢٣). وتجدر الإشارة إلى أن دراسة الدين في الفكر المعاصر أصبحت مجال اهتمام في مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية، كل منها مستمد من منظور تخصصه، مثل علم الاجتماع الديني، وعلم النفس الديني، وما إلى ذلك، كل هذه العلوم اجتمعوا لتزويدنا بمعرفة شاملة عن الدين، وأصبحت مقاييس لمقارنة الأديان (عبدالحكيم، ٢٠٠٤، ص٧).

خامساً: نشأة علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي

مقارنة الأديان هو مصطلح لم يعرفه علماء المسلمون قديما إلا مؤخرًا بدايات القرن السابع عشر ميلادي فهو مصطلح حديث النشأة، أما مادته العلمية فأصيلة وغزيرة في الفكر الإسلامي، لكنها متناثرة في التراث الإسلامي بأسماء متعددة منها: (علم الكلام)، و (علم الملل والنحل)، و (علم مقالات الاسلاميين)، و (علم الردود على الأديان). (عبدالحكيم، ٢٠٠٠م، ص٨٦).

١. فالمتتبع لنشأة علم مقارنة الأديان يجد أنه نشأ في الفكر الإسلامي نتيجة التسامح الديني الذي كان يسود علاقة المسلمين مع اليهود والنصارى بصفة خاصة، ومع أصحاب الديانات الأخرى على وجه العموم، أن هذا التسامح الديني لم يطبق فعلياً إلا في الحضارة الإسلامية، والذي يعد عاملاً مساعداً في نشأة علم مقارنة الأديان وازدهاره.)تركي، ٢٠٠٢م، ص٢٢).

عندما ننظر إلى آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الأديان، نرى أنها تتناول التفاصيل العقائدية للشعوب والأمم التي سبقت الإسلام، مثل حديث عن قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وقوم شعيب، وقوم يوسف عليهم السلام أجمعين، بالإضافة إلى أحاديث القرآن الواسعة لهذه الشعوب الوثنية البائدة، فقد تناول الحديث بالرسالات السماوية المعاصرة لنزوله على نطاق أوسع، فتحدث عن اليهودية والنصرانية، وعرض معتقداتهم باستقصاء دقيق غير مسبوق، وناقش هذه المعتقدات، مشيراً إلى ما فيها من زيغ وابتعاد عن الدين الصحيح الذي ارسله الله به رسله. (الشريف، ١٩٨٤م، ص١٩).

جاء الإسلام حاملاً موقفه المنفتح تجاه الآخر، وتشجيع على الاحتكاك مع أتباع الأديان الأخرى، والفضل يعود للقرآن الكريم الذي أعطى الإرهاص الحقيقي، والدلائل المتكررة لمعرفة الأديان الأخرى ومقارنتها بغيرها، بمنهجية قوية محكمة، كيف لا يكون كذلك و ما يقرب من ثلث القرآن الكريم يشتمل على قصص حول الديانات الأخرى (الأعظمي، ٢٠٠٣م، ص١٦). هذه الدلائل المتكررة التي حفزت عقل المسلم وشجعته على قبول الآخر ومناقشته مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(النمل:١٢٥). فالفضل يعود إذن للقرآن الكريم في وضع أسس ومبادئ علم مقارنة الأديان. (شلبي، ١٩٨٨م، ص٢٤ – ٢٥).

حيث بين القرآن الكريم منهج مجادلة أهل الكتاب بالعلم، وبأسس ومبادئ، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(العنكبوت: ٢٤). فالمجادلة بالحسنى هي مفهوم هذا العلم الذي يوصل إلى الحق كما يقول احمد شلبي.(شلبي، ١٩٨٨م، ص٢٤ – ٢٥).

مما لا شك فيه أن هذا الحديث من القرآن الكريم عن الأديان حفز العقول الإسلامية على رصدها والاهتمام بها، الأمر الذي أثر – فيما بعد– في ظهور ما يسمى بعلم مقارنة الأديان وترتيب أصولها، وأساليب البحث، وقواعد دراسته.(الشرقاوي،١٩٩٠م، ص٥).

وعلى هدي تلك الإشارات والدلائل التي جاء بها القرآن الكريم اهتم علماء المسلمين بعلم مقارنة الأديان؛ وذلك من خلال دراسة الأديان الأخرى، كتابية ووضعية، ودراسة عقائدها، ومبادئها، وفرقها، وكتبها، ثم مناقشتها مناقشة عقلية علمية منهجية (الشرقاوي،١٩٩٣م، ص٥).. فقد كانوا يستمدون أوصاف كل ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقونها من منابعها الأولى.

إن نشأة علم مقارنة الاديان عند علماء المسلمين لم يكن من أجل الحط من الاديان الأخرى، وإنما كان دراسة وصفية، تؤدي نتائجها الطبيعية، ومن خلال هذا العلم والاهتمام فيه دخل الآلاف من الأشخاص في الدين الإسلامي.

فعلماء المسلمين اتخذوا لهم منجهاً علمياً صحيحاً في علم مقارنة الاديان قبل أن تعرفه أوربا الحديثة بعشرة قرون(دراز، ١٩٨٠م، ص٢١–٢٢)، وعندما بدأوا بتدوين الفقه، والتفسير، والحديث في القرن الثاني للهجرة، جعلوا لعم مقارنة الاديان نصيباً من كتاباتهم تلك. (شلبي، ١٩٨٨م، ص٢٥).

وفي هذا المجال برز كثير من علماء المسلمين المشهورين ألفوا مصنفات تعد كنوزاً من التراث ليس الإسلامي فقط بل العالمي أيضاً، نذكر منها: الف مسألة في الرد على المانوية، لواصل بن عطاء، الرد على أهل الأديان، للعلاف، في الرد على النصارى، للجاحظ، الآراء والديانات، للنوبختي، جمل المقالات، للأشعري، المقالات في أصول الديانات، للمسعودي، الإعلام بمناقب الإسلام، للعامري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، الملل والنحل، للشهرستاني وغير هذه كثير من المؤلفات، التي مما لا يسع المجال لذكرها.

وقد اعترف كثير من علماء الغرب المنصفين بإصالة علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، وأن المسلمين لهم الأسبقية في العلم، فنجد العلامة بينارد دولا بولي في كتابه الدراسة المقارنة للأديان أشاد بالعلامة ابن حزم الأندلسي باعتباره رائد مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي، وهذا أيضاً ايريك شارب حيث يؤكد أن شرف كتابة أول تاريخ الأديان اختص به الشهرستاني الذي صنف أديان العالم المعروفة في العالم آنذاك، معتمداً على منهج تاريخي وعلمي دقيق .

هذه الحقائق التاريخية وهذه الشهادات تفيد دور علماء المسلمين في تأسيس علم مقارنة الأديان، وأن لهم الأسبقية على غيرهم في هذا العلم.

المبحث الثاني

المتقدمون ومنهجهم في علم مقارنة الأديان

اتخذ علماء المسلمين في دراستهم للأديان مناهج عديدة في إيجاد بعض المعالم بالنسبة لتلك المناهج، فإن أهم ميزات مناهجها هي ما يلي:

اولاً: منهج التاريخي الوصفي:

كان تأريخ الأديان ودراستها ووصفها جانبا واضحا من اهتمام علماء المسلمين، وهم يضعون لذلك فإن الأسس أو المبادئ أو القواعد المنهجية غير

مسبوقة بمعنى أنها نشأت وقننت هذه الطريقة ثم طبقتها بموضوعيتها وسلامتها لديانات العالم المختلفة، وبعد ذلك كان لهم شرف كتابة أول تاريخ للأديان سبقوا أوروبا بأكثر من عشرة قرون، وركزوا فيها على أصول كل ديانة وأسفارها وأسسها، وفرقها ومقالاتها، وقد ظهرت أسماء كبيرة في هذا المجال مثل الشهرستاني (الملل والنحل)، وأبي عيسى الوراق (مقالات الناس واختلافهم)، والبيروني (تحقيق ما للهند)، وأبي الحسن النوبختي (الآراء والديانات)، وغيرهم، حيث بين الشهرستاني أسس منهجه في كتابه الملل والنحل حيث قال: »شرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده أو أعين حقه من باطله »(الشهرستاني، ١٤٠٤هـ، ٧/١).

وشدد الشهرستاني على الهدف من تأليف كتابه الذي يتجاوز الإشكالية العلمية التي وجدها في الكتب التي تناولت دراسة الأديان، حيث قال: »فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل والوقوف على مصادرها ومواردها واقتناص أوانسها وشواردها أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون عبرة لمن استبصر واستبصارا لمن اعتبر» (الشهرستاني، ١٤٠٤هـ، ٧/١). وتستخدم هذه الطريقة في التحقيق في مقالات أهل الأديان والأهواء والآراء والنحل، وأن البيروني درس الأديان خصوصاً ديانات الهند ذات منهج تاريخي، وابتعد عن المنهج الجدلي القائم على الرد، والنقص، كما أعلن عن منهجه في كتابه تحقيق ما للهند، حيث قال: »وليس الكتاب كتاب جدل وحجاج، وإنما هو كتاب حكاية (تاريخ) فأورد كلام الهند على وجهه »(البيروني، د.ت، ص٥).

ثانياً: منهج التحليل والمقارنة:

جهود علماء المسلمين لم تقف عند المنهج الوصفي التاريخي في دراسة الأديان، بل انتهجت المنهج الآخر وهو المنهج التحليلي المقارن. وتجدر الإشارة

إلى أن المقارنة لم تأخذ صورة واحدة، لكن مفهوم المقارنة التحليلية اتسع بين علماء الإسلام ليشمل الصور متنوعة مثل دراسة جوانب معينة متشابهة في ديانات متعددة، مثل: المعتقدات أو الطوائف أو الأخلاق أو الأثر الاجتماعي والحضاري للديانة عند الأمم والشعوب المؤمنة بها، ودراسة سيرة مؤسسي الأديان والمقارنة والتباين بين الأسفار المختلفة التي تكون مقدسة لدى أصحاب الأديان، وتحليلها ومقارنتها.(الشرقاوي،١٩٩٠م، ص٥).

ومن العلماء الذين اتخذوا في دراستهم للأديان منهج التحليل والمقارنة أبو الحسن العامري في كتابه (الاعلام بمناقب الإسلام)، فالعامري اتخذ منهجين أساسيين في دراسته للأديان وهما:

١. المنهج التحليلي المقارن: اتبع العامري المنهج التحليلي المقارن في دراسة الأديان لم يأخذ صورة واحدة أو شكلاً واحدًا، بل مفهوم المقارنة توسع لديه وتمثل بصور متنوعة، حيث حدد العامري العناصر المشتركة المهمة التي يجب ذكرها في مكانها، ومن ثم قام بتحليلها ومقارنتها بين الأديان.

٢. المنهج الاستدلالي النقلي والعقلي: استخدم العامري آيات قرآنية عند المقارنة بين الأديان، ويريد إظهار سمو الإسلام، وكذلك العقل عندما يبرز الأخطاء الملحوظة في الديانات الأخرى. (العامري، د.ت، ص٢).

وكذلك سلك العامري في منهجه في دراسة الأديان مقارنة الأصل بالأصل والفرع بالفرع، واخذ الفكرة من معتنقيها وكما يرضونها، وقد ألزم نفسه بشيئين في دراسته لعلم مقارنة الأديان كما عبر عن ذلك في كتابه حيث قال: »أحدهما أن لا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة، أعني أن لا يعمد لأشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعمد إلى أصل هذا فيقابله بفرع من فروع ذاك. والآخر ألا يعمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق, غير مستفيضة في كافتها، فينسبها إلى جملة طبقاتها »(العامري، د.ت، ص٢).

ثالثاً: منهج الوصف والبيان:

من علماء المسلمين القدامى الذين استخدموا منهج الوصف والبيان في دراستهم لمقارنة الأديان العلامة البيروني، وقد سعى البيروني في تأليف كتابه إلى نقل المعلومات من مصدرها الأكثر موثوقية، وعدم الاعتماد على الأهواء في النقل، ولا على مصادر غير موثوقة، وفي هذا الشأن يقول في مقدمة كتابه: »إنماَ صَدق قَول القائِل "لـيَس الخَبر كالَعيان" مما يدل على أنه يسعى إلى تأليف الكتاب بالاعتماد على الملاحظة والمشاهدة، لا نقلا ولا سماعا؛ إذ يرى أن الخبر قد يتطرق إليه الكذب في النقل». ويؤكد أيضاً في موضع آخر يقول: »فمن مخبر عن أمرٍ كذب يقصد فيه نَفسه فيُعظِم به لأنها تحته أو يَقصدها فيزريِ بخلافِ جنسه لفُوزه فيه بإرادتَه، ومعلوم ان كلا هذين من دواِعي الشَهُوة والغَضب المْذمُومين. ومن مخِبر عنَ كذب في طَبقة يحُبَهم لشكر أو يبِغضهم لنكر، وهو مُقارِب للأول فان الباعثَ على فِعله من دواعي الَمحبة والغَلبَة. ومن مخبر عنه متَقِربا إلى خير بدناَءةِ الطبَع أو متقيا لشر من فشل وفَزَع .ومن مخبرَ عنهِ طباعا َ كأنه محمول عليهَ غير متمكن من غيره وذلك منَ دواعي الشراَرة وخبثَ مخابئ الطَبيعة. وِمن مخبر عنه جهلا، وهو المقلِد للمخبرين وانَ كثِرواُ جملَة أو تَواتروا فِرقة بَعَد فِرقة فهو وهم وسائِط فيما بين السامع وبين المتعمد الأُول »(البيروني، ١٤٠٣هـ، ص١).

وبين البيروني أيضاً ما يستخدمه اليهود في شهورهم فلليهود اثنا عشر شهرا وهى تشرى، مرحشوان، كسلو، طيبث، شغط، آذار، نيسن، أير، سيون، تمز، أوب، أيلل. وأيام معظمة في تشري يوم الثالث ويوم الخامس ويوم السابع ويوم العاشر ويوم الخامس عشر ويوم الحادي عشر ويوم الثاني والعشرون. وكان بيان عن مواضع مستعان بالجداول التي تفي بالغرض لمن يريد التعمق في أبحاث معينة. وكانت عددها احدى وتسعون تقريبا. مثال آخر في بيانه عن ماهية اليوم بليلتها

ومجموعهما وابتدائهما. ذكر هناك أربعة أقوال عن العرب والروم وأصحاب التنجيم وعلماء الفقه.(البيروني، ١٤٠٣هـ، ص٢).

رابعاً: منهج التحليلي النقدي:

المسلمون درسوا الأديان أو جوانب منها (الأخلاق، السفر، المعتقدات، إلخ) دراسة نقدية منهجية في العديد من أعمالهم العلمية حيث قاموا بتحليل جانب أو جوانب معينة من الديانة أو التحليل النقدي. فنجد من علماء المسلمين الذين اتبعوا هذا المنهج في دراستهم للأديان العلامة ابن حزم الظاهري من خلال كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)

يعتبر ابن حزم هو أول باحث وعالم درس العهد القديم بشكل عام، والاسفار الخمسة بشكل خاص دراسة تحليلية نقدية. درس ابن حزم الاسفار الخمس دراسة وثائقية وحللها بشكل نقدي ومنهجي يكمن في عملية الاستقراء التاريخي الدقيق. والغرض منه هو فحص الظروف العامة والخاصة التي تحيط بكتابة وحفظ ونقل هذه الأسفار. ثم درس دراسة ناقد لنصوص هذه الكتب لمعرفة حقيقتها من حيث الصحة والتزوير والتلاعب وغير ذلك؛ من أجل الوصول إلى الحكم عليها. وأن عمله هذاشكل منهجا تحليلاً من النقد الخارجي أو البحث في سلسلة النقل والرواية، ومن النقد الداخلي أو فحص متن النص أو المحتوى. (ابن حزم، د.ت، ص١٤).

نظرية ابن حزم سهلة وواضحة أقرب إلى حقيقة بديهية لا تختلف العقول عنها مع مراعاة الظروف العامة لمكانة التوراة أو الاسفار الخمسة، بيان موقف بني إسرائيل عبر تاريخها من التوراة، ومدى رعايتهم لها، ومن استند على سلوكها بينهم، وأين تم حفظها، وتم توزيع نسخ منها على نطاق واسع في بني إسرائيل، أو كانت محدودة الانتشار، وهل تم توارثها من جيل إلى جيل، وهدف ابن حزم التكاتف مع الأدلة. قال بقوة إن الظروف التي مرت فيها التوراة الأصلية بين بني إسرائيل كانت

مناسبة للغاية كانت هذه هي أنسب الشروط للتوراة، وبل كان يجب تشويهها وتغييرها وتبديلها وتزييفها(ابن حزم، د.ت، ص١٤).

فهنا يكمن الابتكار في المنهج الذي سلكه ابن حزم مرتكزاً على التهذيب والتركيز والاختصار، وأيضاً من العلماء القدامى الذين ساروا على نفس منهج ابن حزم في النقد، ابو منصور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق.

خامساً: منهج الحوار والرد والمجادلة:

عرف الفكر الإسلامي هذا النوع من دراسة الأديان واتخذ أشكالا أو اتجاهات متعددة منها؛ شكل المناظرات الحية التي كانت تتم في مجالس عامة أو خاصة بين علماء المسلمين وغيرهم من أصحاب الملل المختلفة. وقد كان هذا الشكل مناسبا لطبيعة ذلك العصر وإمكانيته المتاحة ولرغبة الناس آنذاك، كما سلكه القاضي الباقلاني. أن الملك الملقب بعضد الدولة كان يعقد المجلس للمناقشة والمناظرة في الأديان والمذاهب والفرق، وأمر الباقلاني ليحضر المجلس ويدافع عن مذهب أهل السنة. فلما غلب الباقلاني المعتزلة، أعجب به الملك وبعثه في رسالة إلى ملك الروم ليظهر رفعة الإسلام. (الباقلاني، ١٩٨٩م، ص٣- ٥).

والشكل الثاني من هذا المنهج هو الحوار المكتوب في رسائل أو كتب مثل ردود ابن تيمية على سؤلات بولس الراهب، وردود أبي زكريا يحيي بن عدي على رسائل الكندي الفيلسوف وأبي عيسي الوراق، وغير ذلك. وكذلك الجدل المكتوب في الكتاب المخصوص للرد على قضية أو مسألة بعينها أو أكثر في ديانة مثل كتاب أبي عيسى الوراق) الرد على فرق النصارى الثلاث (ورسائل الجاحظ) المختار في الرد على النصارى وكتاب ابن القيم هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)(الباقلاني، ١٩٨٩م، ص٤٨- ٤٩)، وغير ذلك. فمن العلماء من سار على هذا المنهج في دراسة الأديان ايضاً، كالاشعري في كتابه (مقالات الاسلاميين واختلاف المصليين).

المبحث الثالث

نماذج من إسهامات المتقدمين

في هذا المبحث سأذكر بعضا من اسهامات علماء المسلمين المتقدمين في مجال علم مقارنة الأديان، الذين كان لهم الفضل والأسبقية في هذا العلم منهم:

ابو الوليد الباجي: عالم من علماء الاندلس ومن فقائها له عدة كتب في مختلف العلوم تميز بكونه فقيها مناظرا؛ لذا تجد اسهامته في علم مقارنة الأديان واضحة كانت من خلال رده على رسالة من راهب فرنسي أراد إقناع حاكم سرقسطة بدينه ليتحول إلى النصرانية. وأمام إصرار هذا الراهب ومحاولاته كتب أبو الوليد ردًا على هذه الرسالة. الذي يحتوي على محاولات العقول التي لا تقنع عوام المسلمين (السيوطي، د.ت، ص٩٣– ٩٧). وكان رده التالي: »ولما تكّررت علينا رسائلك، ووسائلك تعيّنت علينا مفاوضتك فيما رضيناه من مسألتك، ومعرضتك [هكذا] فيما اخترناه من منهجك في النصح الذي يجري إليه الفضل، وأمرنا الله به على ألسنة الرسل، وكففنا عن معارضتك ما استقبحناه من خطابك، وسخطناه من كتابك، وسبّ الرسل الكرام والأنبياء العظام عليهم السلام »(السيوطي، د.ت، ص٨٩)، وعلى الرغم من منهج الباجي القائم على الاختصار، فإن ردوده حملت دراسة علمية لنفسية الجدل المسيحي، من خلال محاولته الكشف عن أسباب تمسك الراهب بمسيحيته رغم تناقضها مع مقتضيات العقل السليم.

الإمام القرطبي: صنف المفسر القرطبي صاحب الجامع لأحكام القرآن كتابا مهماً في دراسة مقارنة الأديان أسماه " الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام)، لإظهار جمال الإسلام ومحاسنه، وإثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم "وجاء أيضاً كرد رسالة من المسيحيين في طليطلة. يعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما في دراسة مقارنة الأديان بسبب موسوعته وكبر حجمه وطريقة تعامله مع

العديد من موضوعات الخلاف العقائدي بين الإسلام والمسيحية. وكان لها مغزى تاريخي، إذ ذكر بعض الكتابات المسيحية التي تضمنت الإجابة وعليها رده على القس القوطي والنصراني حفص بن البر (السيوطي، د.ت، ص٨٩).

ومن أهم الموضوعات التي تناولها القرطبي في كتابه :

- إبطال مذاهب النصارى في الأقانيم.
- إبطال مذاهب النصارى في الاتحاد والحلول.
- إثبات تحريف التوراة والإنجيل.
- إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
- نقد الشعائر النصرانية.
- إثبات محاسن الإسلام(السيوطي، د.ت، ص٨٩).

الإمام الشهرستاني: حيث اسهم في علم مقارنة الأديان وذلك من خلال تأليفه كتاب الملل والنحل، متجاوزا الأشكالية العلمية التي وقف عليها عند غيره من العلماء الذين ألفوا في علم مقارنة الأديان.

ومن أسهامات الشهرستاني في تقسيمه للأديان الى أقسام عدة وهي كالآتي:

- أهل الكتاب (الأديان السماوية).
- من له شبهة كتاب.
- أهل الأهواء.
- الفلاسفة.
- آراء العرب في الجاهلية.
- آراء الهند.
- تثبت هذه الدوافع أن تأليفهم جاء كحل للمشكلة، وأن أعمالهم هدفت إلى الابتكار فيها وتجاوزها الاشكاليات العلمية. بالإضافة إلى ذلك فإن أغلب

المذكورين هم علماء في أكثر من مجال، حتى لو كتب في مجالات أخرى. إذ تمكنوا من التأليف في علم الأديان المقارنة، وتخصيص مفردات البحث من خلال الدراسة، والتمييز بين أقسام ومجالات العلوم الاخرى، وخير دليل على ذكائهم وابتكارهم في مجال الأديان وتقديمها كفن مستقل يتفوق على الآخرين، فالاشعري، وابن حزم والبغدادي والشهرستاني من علماء الكلام الذين الفوا في تقرير المعتقدات، لديهم هذه الكتب التي تتناول دراسة الأديان بمقارنة مختلفة عن طريق تقرير المعتقدات الإسلامية.

ابن رشد: تطرق في بعض من مصنفاته، ومنها كتابه (مناهج الأدلة في عقائد الملة) لنقد عقيدة التثليث النصراني، كما أنكر عليهم أقوالهم في أن لله تعالى ابن، أو إدعاءهم بتعدد الآلهة (ابن رشد، ١٩٦٩م، ص١٦٦ وما بعدها).

ابن حزم الاندلسي: يعتبر رائدا في علم مقارنة الأديان للدور الذي لعبته مؤلفاته في تأسيس هذا العلم، كان أكثر المفكرين الأندلسيين عطاء(السيوطي، د.ت، ص٩). كان كاتباً سيّال القلم، كثير التأليف؛ حيث ألف في العديد من فروع العلم، لا يتّسع بحثنا لتعدادها، لأنه يرّكز على جهوده في مقارنة الأديان، والذي نال النصيب الأوفر من كتاباته، والتي كان خلاصتها كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، و"الرد على ابن النغريلّة اليهودي،" وكتاب "الأصول والفروع" الذي تعرض فيه ابن حزم لدراسة بعض الملل، ونقدها ((السيوطي، د.ت، ص٢٩ – ٣٦)، وكتاب "إظهار تبديل اليهود والنصارى للكتابين التوراة والإنجيل".

يحتل كتاب ابن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل) أهمية خاصة لدى الدارسين لعلم الأديان لعدة اعتبارات منها: انفتاح ابن حزم على الآخر لاستجوابه والتحاور معه والتواصل معه، وقدرته الفذة على المناظرة والنقاش (الزيدان، ١٩٩٦م، ص٢٣٨). رغم ما اشتهر بأسلوبه الجدلي من غلظة اتّسم بها لها ما يبررها من تطاول أهل الكتاب على المسلمين بالأندلس وخيانتهم العهد(السيوطي،

د.ت، ص٢٢). إنها خطوة جريئة إذا نظرنا إليها في ضوء معايير تلك الحقبة، بالإضافة إلى أنه يطمح إلى مقارنة الإسلام مع الأديان الأخرى، ولا سيما المسيحية واليهودية لإظهار الحقيقة وإثباتها، كل هذا مكنه من الانتقال في دراسة الأديان من مستوى الوصف إلى مستوى أعمق وهو مستوى النقد الصريح للتوراة في العهدين القديم والجديد، وإن هذا الأمر يحسب له.

ومن هنا تأتي الأهمية التاريخية لابن حزم الذي تجاوز الإطار الإسلامي إلى إطار التأثير العالمي على تطور الدراسات الكتابية الحديثة (المقراني، ٢٠٠٨م، ص٢٣ – ٢٤) درس ابن حزم الأسفار الخمسة دراسة وثائقية، وحلّلها تحليلا نقديا منهجيا مستخدما عملية استقراء تاريخي دقيق، استهدف به فحص الظروف العامة، والملابسات الخاصة التي أحاطت بكتابة هذه الأسفار الخمسة، وحفظها، ونقلها، ثم درس نص هذه الأسفار دراسة نقدية، ليعرف واقع هذا المتن في حّد ذاته ليصل إلى الحكم على هذا النص. من هنا يظهر أن منهجه التحليلي شمل النقد الخارجي، أو بحث السند أو الرواية، و النقد الداخلي، أو فحص متن النص؛ أي المحتوى(الشرقاوي، د.ت، ص١٩).

وفي الأخير نقول أن هناك الكثير من العلماء القدامى أسهموا كثيراً في علم مقارنة الأديان لا يسع المجال لذكرهم، كالبيروني، والمسعودي، والعامري وغيرهم.

الخاتمة

والحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، الذي أعانني على انجاز هذا البحث، وفي الخاتمة نذكر اهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١. علم مقارنة الأديان علم لم يعرفه الغرب إلا عندما تأثروا بعلماء الإسلام، وهذا أكبر دليل على التفوق التاريخي والأسبقية للمسلمين في هذا العلم.

٢. ظهر علم "مقارنة الأديان" بين المسلمين لأسباب عديدة، مهدت الطريق لظهوره، منها: اهتمام القرآن الكريم بالديانات، والبعد العالمي للإسلام، والطبيعة البشرية للإسلام، بالإضافة إلى انفتاح المسلمين على الديانات الأخرى وتعايشهم معها، وكذلك الدفاع عن الإسلام ومواجهة الشبهات التي تثار حوله.

٣. يعّد ابن حزم الأندلسي من رواد علم مقارنة الأديان، بل يعد أّول مؤسس لعلم نقد الأديان باعتراف علماء الغرب، ومن الأوائل الذين كتبوا مصنفات فيه، ووضعوا أسسه. وبذلك يعد دليلا حيّا أيضا على أن علم مقارنة الأديان ذو أبّوة إسلامية.

٤. قدم علماء الإسلام إسهامات قيمة في علم مقارنة الأديان، والتي تميزوا بها عمن جاء من بعدهم في دراسة هذا العلم.

٥. تنوعت مناهج دراسة علم مقارنة الأديان عند علماء الإسلام، بين التأريخ والوصف والنقد والمقارنة والرد والجدل.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

**القرآن الكريم

١. ابن حزم، محمد علي بن احمد، دت، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت.

٢. ابن رشد، أبو الوليد، ١٩٦٩م، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحق: محمود القاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

٣. ابن منظور، دت، لسان العرب، تحق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

٤. الاعظمي، محمد ضياء الدين، ٢٠٠٣م، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط٢،دار الرشد، الرياض.

٥. الباقلاني، ابو بكر محمد بن الطيب، ١٩٨٩م، التمهيد، دار الفكر العربي، القاهرة.

٦. البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد، ١٤٠٣هـ، تحقيق ما للهند، ط٢، عالم الكتب، بيروت.

٧. البيروني، محمد بن أحمد، دت، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المتنبي، الدمام.

٨. تركي، ابراهيم محمد، ٢٠٠٢م, علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر.

٩. جود، د. احمد بن عبدالله علم الملل ومناهج العلماء فيه، ١٤٢٥هـ، ط١، دار الفضيلة، الرياض.

١٠. حاش، د. عبد الرزاق عبدالله، ٢٠١٢م، علم مقارنة الأديان بين سؤالي المفهوم والموضوعية: دراسة تحليلية مقارنة، مجلة إسلامية المعرفة، العدد٦٧، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن.

١١. دراز، محمد، ١٩٨٠م، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان، دار القلم، الكويت.

١٢. الزيدان، عبدالله بن علي، ١٩٩٦م، قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض.

١٣. السايح، احمد عبد الرحيم، دت، بحوث في مقارنة الأديان، دار الثقافة، الدوحة.

١٤. السيوطي، خالد عبد الحليم عبد الرحيم، د.ت، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٥. الشرقاوي، محمد عبدالله، ١٩٩٠م، في مقارنة الاديان، بحوث ودراسات، ط٢، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة.

١٦. الشرقاوي، محمد عبدالله، ١٩٩٣م، دراسات في الملل والنحل (أصول المسيحية الهلينية)، ط١، د.م.
١٧. الشرقاوي، محمد عبدالله، د.ت، نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبينورا، د.م.
١٨. الشريف، محمود، ١٩٨٤م، الأديان في القرآن، ط٥، شركات مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية.
١٩. شلبي، احمد، ١٩٨٨م، مقارنة الأديان (اليهودية)، ط٨، مكتبة النهضة، القاهرة.
٢٠. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد، ١٤٠٤هـ، الملل والنحل، تحق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢١. صليبا، جميل، ١٩٨٢م، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
٢٢. العامري، ابو الحسن، دت، الإعلام بمناقب الإسلام، تحق: أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة، الرياض.
٢٣. عبد الحكيم فرحات، ٢٠٠٠م، أسس المنهج الإسلامي في دراسة الأديان، مجلة الإحياء، العدد٢.
٢٤. عبد الحكيم فرحات، ٢٠٠٤م، منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الاديان، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.
٢٥. المقراني، عدنان، ٢٠٠٨م، نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الامريكية.
٢٦. الملحم، هاني بن عبدالله، ٢٠١٦م، مقارنة الأديان (مفهومه وموضوعه وطبيعته)، مجلة الدراسات الإنسانية، العدد١٥، كلية الآداب والدراسات الإنسانية، جامعة دنقلا، السودان .

الملخص:

يختص هذا البحث بدراسة إسهامات علماء المسلمين المتقدمين في تأسيس علم مقارنة الأديان، ويسعى إلى إبراز الأثر البارز لهؤلاء العلماء في هذا الجانب العلمي، وسبقهم علماء الغرب في كثير من قواعده ومبادئه، ثم شرح جانب أسبقية الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية التي تنسب إليها هذه الأسبقية. لهذا اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، لأختتم في النهاية بـ: مجموعة من النتائج منها: أن الحضارة الإسلامية لها فضل عظيم في نشأة علم مقارنة الأديان وتطوره، وأن علماء المسلمين سبقوا علماء الغرب في كثير من الاكتشافات العلمية ومنها موضوعات هذا العلم وقواعده وأصوله، وأن علماء المسلمين يدرسون الأديان لم تكن دراستهم دراسة عشوائية وعبثية، بل كانت دراسة قائمة على الأصل علمي محكم.

كلمات مفتاحية: إسهامات، المتقدمون، مقارنة، الأديان.

Abstract:

This research is concerned with studying the contributions of advanced Muslim scholars in establishing comparative religion. It seeks to highlight the prominent impact of these scientists in this scientific aspect, and the Western scholars preceded them in many of its rules and principles. Then he explained the aspect of the primacy of Islamic civilization over Western civilization to which this primacy is attributed. That is why in this research I followed the inductive and analytical method, to conclude in the end with a set of results, including: The Islamic civilization has great merit in the emergence and development of comparative religion. Muslim scholars preceded Western scholars in many scientific discoveries, including the topics, rules and principles of this science. That Muslim scholars study religions, their study was not a random and absurd study. Rather, it was a study based on a solid scientific origin.

Key words :Contributions, comparison, religions.